توثيق قصيدة محمّد بن عمّار الأندلسي*

د. مصطفى الغديري
كلّية الآداب - وجدة
المغرب

لقد لفت انتباهي، منذ مدّة أبيات لابن عمار علي رويّ الباء، وردت في عدّة مصادر، متكاملة في معانيها ومتّحدة في وزنها وقافيتها، انتخب منها أصحاب هذه المصادر ما يشكّل مقطوعة في غرض معين؛ فتارة هي قطعة في مدح المعتضد ابن عباد [1]، ومرّة هي مقطوعة في التغزّل بحسناء [2]، وطوراً تورد للاستشهاد على براعة الخروج من النسيب إلى المدح [3]، أو للاستدلال على اللّفظ المليح، الطيّار الخفيف الروح[4].

* خصص د. صلاح خالص لهذا الشاعر كتابه "محمد بن عمّار"، درس فيه سيرته وشعره، وهو أوفي ما كتب عنه لحدّ الآن.

1) الذخيرة : 2 / 1 / 381 تحقيق د. إحسان عباس دار الثقافة بيروت 1399 / 1979 . ومجموع أشعار نسب للمقري التلمساني يوجد بالمكتبة الوطنيّة بتونس تحت رقم 18327 ، رصيد المرحوم ح. حسني عبد الوهاب، ورقة 152 - 153 ، ونشر منه الأستاذ إبراهيم بن مراد مختارات من الشعر المغربي والأندلسي ط.دار الغرب الإسلامي سنة 1406 / 1986 ، ص : 192 - 194 ، ومجموعة شعر ابن عمّار د. صلاح خالص، ضمن كتابه محمّد بن عمّار - بغداد 1957، ص : 205 رقم 26 .

2) الحماسة المغربية لأبي العباس أحمد الجراوي التادلي تحقيق : د. محمّد رضوان الداية، ط. دار الفكر المعاصر، بيروت ط. أولى 1411 / 1991 ج 2 ص : 1053 - 1054 ، مجموع شعر ابن عمّار : 240 رقم 26 .

3)رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة لأبي القاسم الغرناطي ط. مصر سنة 1344 ،ج 1 ص : 61.

4) على حد قول ابن بسام (الذخيرة : 1 / 1 / 351).

وحين نشر الأستاذ إبراهيم بن مراد جزءاً هاما من هذه القصيدة (20 بيتا)[5] ، رجّح أن تكون هذه الأبيات وتلك التي وردت في ذخيرة ابن بسام في أصلها قصيدة واحدة [6]، من غير أن يطلع عمّا جاء من أبياتها في الحماسة المغربيّة ومجموع شعر لابن عمار الذي نشره المرحوم د. صلاح خالص، إذ قال :" ولسنا ندري إن كان الدكتور صلاح خالص قد نشرها فيما جمع من شعر ابن عمار أو لا، فنحن لم نطلع على عمله. والراجح عندنا أنّه لم ينشرها لانفراد مجموعنا بروايتها"[7].

والحقيقة أن المختارت الشعريّة التي نشرها الأستاذ إبراهيم بن مراد لم تنفرد برواية هذه القصيدة. وإذا صحت نسبة المجموع الذي استخرج منه الأستاذ إبراهيم بن مراد المختارات الشعريّة إلى أبي العباس المقري، فيكون هذا المصدر قد أخذها عن المصادر السابقة، من مثل الذخيرة والحماسة المغربيّة ورفع الحجب المستورة. ولم يأت بعد هذه المجموع إلا مجموع صلاح خالص الذي استقى أبيات هذه القصيدة من الذخيرة والحماسة المغربية ورفع الحجب المستورة قبل أن تنشر محقّقة كما يبدو من خلال توزيعه الأبيات على قطعتين مستقلتين[8]، الأمر الذي جعل قراءة الأبيات غير سليمة، إذ نجده يترك فراغا في الأبيات كأنّما وقع خرم في أصولها [9]. فجاءت بعض الأبيات غير مستقيمة المعنى والوزن. وظهور هذه المصادر محقّقة لم يحل مشكلة تشتّت أبياتها، لأن كل مصدر اهتم بأبيات تمثل مقطوعة مستقلّة وكأنّما كتب عليها أن تتشتّت في المصادر كما تشتّت مخّ صاحبها وتفتّتْ عظام جمجمته يوم أجهز عليه المعتمد بن عباد ب "الطبرزين"[10] الذي كان ابن عمّار قد أهداه له [11]، وغرسه في رأسه ليتركه في صورة هدهد، على حد تعبير اعتماد الرميكية زوج المعتمـــد[12].

ولمّا تبيّن لي أن هذه المقطعات وتلك الأبيات هي في أصلها قصيدة واحدة، قررت أن أوثقها وأرتب أبياتها في السّياق المناسب، وأوازن بين روايات مصادرها لأقدّمها للمهتمّين بالشعر الأندلسي حفاظًا على سلامة تراث الفردوس المفقود.

---

5) مختارات من الشعر المغربي والأندلسي : 192 - 194 .
6) نفسه : 65 - 66 .
7) نفسه .
8) مجموعة شعر ابن عمّار ص : 250 رقم 7، 240 رقم 26.
9) نفسه : 240 رقم 26.
10) والطبرزين ، فأس مرهف الحَدّين Pica Firri(الذخيرة : 2 / 1 / 430) والحلة : 2 / 159 هامش : 2.
11) قلائد العقيان للفتح بن خاقان نشره الشيخ محمّد الطّاهر ابن عاشور . الدار التونسيّة للنشر 1990 ص : 232.
12) نفح الطيب للمقري : 4 / 212 . تحقيق د. إحسان عبّاس . دار صادر 1968.

نص قصيدة

وقال ابن عمّار هذه القصيدة في المعتضد بن عباد

(طويل)

1 - أَشَاقَكَ بَرْقٌ أَمْ جَفَاكَ حَبِيبُ	فَلَيْلُكَ فَضْفَاضُ الرِّدَاءِ رَحِيبُ
2 - ألاَ إنَّ نَجْمَ الصُّبْحِ فيه مُحَيَّرُ	تَحَيَّرَ مَحْبُوب عليه رَقِيبُ
3 - وَمَا لِحَمَامِ الأَيْكِ تَبْكِيك كُلَّمَا	تَبَسَّم ثَغْرٌ لِلصَّبَاح شَنيبُ ؟
4 - تُغَنِّي ، فَمَا تَنْفَكُّ تَشْرَبُ نُغْبَةً	مِنَ الدَّمْعِ يُهَدِيهَا إليكَ وَجِيبُ
5 - نَعَمْ هجْرُ لَيْلى كَلَّف الليلَ وَصْلَتِي	وَعَلَّمَ دَمْعَ العَيْنِ كَيْفَ يَصُوبُ
6 - فَتَاةٌ غَذَاهَا الحُسنُ حَتَّى كأنَّها	هِيَ الحُسْنُ أَوْ إلفٌ إليهِ حَبِيبُ
7 - فَعَيْنٌ كَمَا عَيْنُ المها ومُقَلَّدٌ	كَمَا ارْتَاعَ ظَبيٌ بالفَلاةَ رَبِيبُ
8 - وَرِدْف كَمَا انهالَ الكَثيبُ، وَضَمَّهُ	وشَاحٌ، كَمَا غَنَّى الحمَامُ طَرُوبُ
9- وَثَغرٌ كَنَوْرِ الأقْحُوانِ يَشُوبُهُ	لَمًى : حَسَنَاتُ الصَّبْرِ عَنْهُ ذُنُوبُ
10- شَقَقْتُ جُيوبَ الصَّبْرِ عَنْهُ بَطفْلة	تُزَرُّ عَلَيهَا لِلْجَبَالِ جُيوبُ
11- فَفَاتِكَةُ الألحاظ وهيَ عَليلةٌ	وَنَاعِمَةُ الأعْطَافِ وَهِيَ قَضِيبُ
12- إذا أقْبَلَتْ تَخْتَالُ قُلْتُ - وَلَمْ أُصِبْ -	هِلاَلٌ وَغُصْنٌ نَاعِمٌ وكَثِيبُ
13- وإنْ نَظَرَتْ نَحْوي أصَبْتُ ولم أكَدْ	بِأنْ قُلْتُ : سَهْمٌ للقلوبِ مُصِيبُ
14- كَسَا الخَجَلُ المُعتادُ صَفْحَةَ خَدِّهَا	رداءً طِرازَاهُ : نَدىً ولَهِيبُ
15- ودَبَّتْ مِنَ الأصْدَاغِ فِيهِ عَقَاربٌ	لَهَا فِي فؤاد المُسْتهام دبيبُ
16- أمَا ونَسيمُ الرَّوْضِ زارَ نَسيمَهَا	فَأهْدَتْهُمَا نحوَ المَشُوقِ جَنُوبُ
17- لقدْ حَسُنَت حَتَّى كأنَّ مَحَاسِنًا ،	تَقَسَّمَهَا هَذَا الأنَامُ، عُيُوبُ
18- فَيَا رَبَّةَ القُرْطِ اللَّعُوبَ تَرَفَّقي	فَحَسْبُكِ فَالحِلْمُ الرَّسُوبُ لَعُوبُ
19- أطاعَكِ قَلْبي لَمْ يَخُنْكِ أمانَةٌ	ولانَيْلَ إلاَّ زَفْرَةٌ وَنَحِيبُ

20 - إلــى اللّهِ أشكُو أنَّ مَـالَكِ في دَمــي ... شـــريكٌ، ومــــالي فـي هَواكِ نَصـــيبُ

21 - أتَدْريـــنَ مَـــنْ كَلَّفت عَـيْنَيْك قَتْلَـهُ ... وقــــلتِ : فـــتىً لا يَسْـتَـقـيـدُ غَــريبُ

22 - سَتَنْصُرُهُ مــــن مُـهْرَةَ الخَـيْل تَرْتمي ... بِـأعــــــلامِ نـصـــر فـي الـوغـى وَتـؤوبُ

23 - تَسَامَوا بِلَخْـــمٍ فاسْتَهلّتْ سَماؤهُمْ ... بِغَـيْـمَـيْنِ منْهــــــا ذائبٌ وَمُــذيبُ

24 - بُدُورٌ وَلَكِــنَّ السّمـــاءَ مَحـــاربٌ ... وأُسْــدٌ ولـكــنَّ العَـــريـــنَ حُـــروبُ

25 - مَزَحْتُ فإنِّي يَا ابْنَـةَ القَيْلِ لَـمْ أكُـنْ ... لِأُفْـشِــيَ سِــــرّاً ضَـمَّنَتْـهُ قُلُــوبُ

26 - سَأُشْهِدُ قَـوْمي أنَّ طَرْفَكِ مِـنْ دَمِــي ... بَرِيءٌ وإنْ كــــانَ الفُـــتـــورُ يُريبُ

27 - وكَـيْفَ أرى في الغَـدْرِ نَهْجًا لِسَالكٍ ... وَعَـــهْــــديَ بالمَلْكِ الوَفــيِّ قَــريبُ

28- فَتًـى نسَـــخَ العُذْرَ اقتضاءُ وفَــائِه ... فَـــلا تحْكُمـي أنّ الوفـــاءَ غَـــريبُ

29 - أغَــرُّ يُنيــرُ الملكَ مِـنْهُ بِـكَوكَــبٍ ... لَــهُ فـــي سَـــمـاءِ المُشْكِلاتِ ثقُــوبُ

30 - وأَلَّفَ بَيْنَ الظَّبْــيِ والذِّئْبِ عَدْلُـهُ ... فَــلا تَجْــزعي إنْ زارَ رَبْعَكِ ذيــبُ

التخــريـج :

- كتاب الذخيرة : 2 / 1 381 - 382، ورد فيــه أحــد عشر بيتــا (1،20 - 29 ، ثم ورد البيت الأخير (30) في المصدر نفسه 1 / 1 / 351.
-- كتاب الحماسة المغربية : 2 / 1053 رقم 647 ، ورد فيه ستة عشر بيتا (3 / 11 ، 14 - 20).
- كتاب رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة : 1 / 61 ، ووردت فيه سبعة أبيات (22، 23 - 25، 28 - 30).
- مختارات من الشعر المغربي والأندلسي ، 192 - 194 ، ورد فيها عشرون بيتا (1 - 20).
- مجموع شعر ابن عمّار ، ضمن كتاب محمد بن عمّار الأندلسي ، وزعت فيه الأبيات على قطعتين رقم 7 ص 205 - 206 ، عدتها أحد عشر بيتا (1،20 - 29). والثانية رقم : 26 ص 240 - 241 (عدتها اثنا عشر بيتا : 3 - 11،14 - 16).

الرّوايـة :

2 * - لم يرد في المختارات.

4 - في المختارات "تَغَنّى" بدل "تُغنّي".

5 - في المختارات " علّم الليل وصلتي " ، وفي مجموع شعره وضعت "نقط الحذف (...) مكان " الليل وصلتي".

6 - في المختارات :حتّى كأنما" وفي مجموع شعره " إلف عليه حبيب".

8 - في المختارات "يضمّه" بدل "وضمّه".

9 - التبس على مصنف مجموع شعره أمر كلمة "كنور" فوضع محلها "كمثل".

10 - في المختارات "للجمال جيوب"، وفي المجموع فراغ مكان "تزرّ".

11 - في المختارات "بفاتكة"، وفي المجموع "لفاتكة".

19 - في المختارات "ولا أنهل إلا زفرة".

20 - في المختارات "في رضاك نصيب".

21 - في المجموع "لا يستفيد " بالفاء.

25 - في المجموع "يا ابنة الفيل" بالفاء، ولعله تصحيف مطبعي.

30 - انفردت المقصورة بتسلسله في سياق الأبيات السابقة ، وورد في الذخيرة مفردا في القسم الأول (1 / 1 / 351).

(*) الأرقام هي أرقام الأبيات في القصيدة.